القدوة في القرآن الكريم

إعداد الدكتورة

إيناس جلال محمود القصاص

مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية – بنات

جامعة الأزهر- القاهرة

القدوة في القرآن الكريم

إيناس جلال محمود القصاص
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر – القاهرة – مصر.
البريد الإلكتروني: Enaselasas.2057@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

في هذا البحث محاولة لبيان عناية القرآن الكريم بالقدوة كأحد وسائل الدعوة القولية والعملية لمكارم الأخلاق؛ وذلك من حيث تثنية الحديث عن القدوة، وتصريفه، وإظهار القدوات الحسنة والقدوات السيئة كنماذج عملية شاخصة أمام الناس ليقتدوا بالحسن ويتجنبوا القبيح.

واتبعت المنهج الاستقرائي الاستنباطي. وتوصلتُ إلى عدد من النتائج من أهمها: أن مفهوم القدوة يحمل كمًا من المعاني والدلالات الوصفية والفعلية، بعضها يتجه لوصف حال الشخص النموذج (الذي يقتدى به) وبعضها يتجه لوصف الشخص المقتدِي، كالاتباع، وجميعها تشكل معنًا كليًا يدور حول الإتيان بمثل فعل الأول لأجل أنه فعله؛ وأن في القرآن الكريم عناية خاصة بالبعد الشخصي والأُسري، أو الانطلاق من إصلاح الفرد نفسه ثم المقربين إليه (زوجه وذريته)؛ وأن من إظهار القدوات الحسنة والدلالة عليها والقدوات السيئة والتحذير منها منهج قرآني لمن شاء أن يتخذ من القدوة منهجًا في الدعوة لمكارم الأخلاق.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الأخلاق، القدوة، الأسوة، المثل، الإمامة، البيئة، المجتمع.

Role Models in the Noble Qur'an

Enas Jalal Mahmoud Al-Qassas.

Department of Qur'an Exegesis and Qur'anic Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Al-Azhar University, Cairo, Egypt

Email: Enaselasas.2057@azhar.edu.eg

Abstract:

This research is an attempt to explain the Holy Qur'an's interest in role models as one of the means of verbal and practical advocacy of good morals. This is done by repeatedly discussing role models, illustrating them, and presenting good and bad role models as practical examples for people to imitate or avoid. The inductive-deductive approach has been used in this study. Some of the most important of the research results are: The concept of a role model carries a number of descriptive and actual meanings and connotations, some of which are directed at describing the state of the role model (whom others imitate) and some are directed at describing the person who is imitating the role model. All of them form a comprehensive meaning that revolves around performing the same as the role model. The Holy Qur'an pays special attention to the personal and family dimension; reform starts from the individual himself and then those close to him (his wife and his offspring). Showing good role models and urging people to follow them, indicating bad examples and warning against them is a Qur'anic method for those who

wish to take role models as a method in calling for good morals.

Keywords: the Holy Quran – ethics - role model – ideal – example - imamate – environment - society

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

القدوةُ فطرةٌ مركوزةٌ في النفس الإنسانية لا تنفك عنها من المهد إلى اللحد. فالطفل، بحكم ضعفه، يتكئ على الأبوين، ثم المعلم، ثم يختار من التاريخ أو من واقعه شخصًا- أو كيانًا- أكبر يقتدي به؛ وحين يشب ويشتد ويستوي علمًا وخلقًا يبحث عن التأثير في الآخرين.. يحاول أن يكون هو قدوةً لغيره طلبًا للأجر أو طلبًا للسمعة والذكر بين الناس.

والقدوة في حقيقتها نموذج عملي يتجلى أمام المقتدي في مواقفٍ وأحداثٍ، أو في سياقاتٍ حياتية ممتدة مثل: طلب العلم وتعليمه، والدعوة إلى الله، والتجارة، ومخالطة الناس في مفردات الحياة اليومية؛ أو تكون القدوة شخصية ملهمة في جميع شؤونها كما الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وفي مقدمتهم نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم؛ فقد أمر، ﷻ، أن يقتدي بمن سبقه من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، يقول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[١]، وأمرنا نحن أن نقتدي بالنبي، ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[٢]، ويقول الله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ ﴾[٣].

والقدوة في القرآن الكريم إصلاح للأخلاق بالنموذج العملي الذي يقدمه المقتَدَى به في نفسه وأهل بيته والذين من حوله؛ فقد أمرنا أن نكون صالحين في

(١) سورة الأنعام: من الآية ٩٠.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.
(٣) سورة النور: من الآية ٥٤.

أنفسنا مصلحين (قدوة) لخاصتنا ولغيرنا من الناس، يقول الله تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[1].

ولذا نجد الصياغة القرآنية بالفعل (الاقتداء..التأسي.. الاتباع..الإمامة،،،). وهذا الاهتمام بالمنحى العملي.. التطبيقي.. السلوكي هو منهج قرآني في بناء الوعي الرشيد والأخلاق السليمة، وذلك أن الأفعال أصدق من الأقوال. وقد ذم الله من خالف قولُهم أفعالَهم، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2] .

وإننا في هذا الزمان الذي فسدت فيه الأخلاق بقدوات فاسدة فرّطت أو أفرطت بأمس الحاجة لمدارسه موضوع القدوة في القرآن الكريم بحثًا عن المنهج الرباني في إصلاح أخلاق الناس بالقدوة الحسنة يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[3].

وهو ما أسأحاوله في هذه الدراسة بحول الله وقوته، والله أسأل توفيقًا وسدادًا.

أهمية البحث:

تكمن الأهمية العلمية لهذا البحث في أمور من أهمها:

١) بيان أحد أهم مناهج القرآن الكريم (القدوة) في ضبط الأخلاق وبناء الوعي الرشيد.

---

(١) سورة الفرقان: آية ٧٤.

(٢) سورة الصف: ٢ – ٣

(٣) سورة النحل: من الآية ٨٩.

٢) القدوة عنصر مهم في ثبات قيم المجتمع وإحداث تحولات فيه.

٣) مواجهة الوعي الزائف والتفسير الباطل للنصوص والذي يُقدم من خلال قدوات لم تهتد بالوحي الصريح والتأويل الصحيح.

٤) المشاركة في أهداف المؤتمر والتي تتمثل في: "بناء الشخصية القوية السوية والقادرة على مواجهة التحديات والتمييز بين الحق والباطل، وبين الوعي السديد والوعي الزائف، وبين الحقائق والشائعات".

أسباب اختيار الموضوع:

١) ما سبق بيانه من الأهمية العلمية.

٢) أسباب عملية (واقعية) تتعلق بحاجة الناس للقدوة الحسنة، وخاصة في هذا الزمان الذي بَعُدَ الناس فيه عن الالتزام بقيم الإسلام وأخلاقه وأحكامه، تطرفًا أو تفريطًا.

٣) أسباب علمية تستهدف الكشف عن أحد أهم مناهج القرآن الكريم في بناء مكارم الأخلاق في الفرد والمجتمع.

٤) أسباب دفاعية تستهدف تصويب التصورات المغلوطة والتي انتشرت اليوم بفعل دخول من لم يتعلم جيدًا قبل ممارسة الدعوة إلى الله.

منهجية البحث:

اتبعتُ المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وذلك بقراءة عدد من النصوص المتعلقة بتفسير الآيات الكريمات التي تناولت القدوة وما قاربها من مفاهيم كالأسوة والإتباع والإمامة والأمة في القرآن الكريم؛ ثم قمت بجمع ما تحصلت عليه من مادة علمية وصنفتها إلى موضوعات فرعية، وعالجت كل موضوعٍ في مبحث خاص، وذلك بحثًا عن نتائج يستفيد منها من يطلع على البحث.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

تشمل المقدمة بيان السياق المعرفي الذي تكوّن من خلاله موضوع البحث، ثم الأهداف الرئيسية التي يحاول البحث تحقيقها، وأسباب اختيار الموضوع. وفي المبحث الأول: ماهية القدوة؛ وفي المبحث الثاني: أهمية القدوة كمنهج لتغيير الأخلاق. وفي المبحث الثالث: إظهار القدوات الحسنة والسيئة في القرآن الكريم؛ ثم الخاتمة وفيها تلخيص للبحث ورصد لأهم نتائجه.

المبحث الأول

ماهية القدوة

للوقوف على معنى كلي واضح للقدوة في القرآن الكريم نتجه أولًا: إلى التدبر في المعنى اللغوي للقدوة، من حيث التعريف المعجمي (التعريف اللغوي)، ثم نتجه ثانيًا: إلى استعماله (القدوة) في السياق القرآني، وثالثًا: نتجه إلى ما قاربه من ألفاظ كالإسوة، والاتباع، والمثل، والإمامة، وذلك أن القرآن الكريم مثاني[١] تصرف فيه الآيات[٢]، بمعنى يطرق ذات المعنى بأساليب مختلفة، ولذا توافق العلماء على أن القرآن الكريم يفسرُ بعضه بعضًا، أو يوضح بعضه بعضًا[٣]. وفي هذا المبحث أبين الدلالة اللغوية للقدوة وما قاربها من مفاهيم من حيث اللغة ومن حيث الدلالة في السياق القرآني وعرضهم مجتمعين يبين أسلوب القرآن الكريم في التثنية والتصريف، وكلهم يمدنا بحقل دلالي نفهم من خلاله المعنى العام للقدوة كموضوع في القرآن الكريم.

---

(١) "والمثاني هي الأمور التي تُثنّى، أي تعاد وتُكرّر. يُثنى ذكر الأنباء والقصص وذكر الثواب والعقاب". ينظر: "**غريب القرآن**"، للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (بيروت، دار الكتب العملية ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م)؛ ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج١، ص١٠٣.

(٢) يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (سورة الإسراء: الآية٤١)، "وأصل معنى التصريف التغيير والتبديل لأنه مشتق من الصرف وهو الإبعاد. وكني به هنا عن التبيين والتوضيح لأن تعدد أنواع الأدلة يزيد المقصود وضوحا"، ينظر: ينظر: "**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**" للشيخ محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج٢٦، ص٥٥.

(٣) ينظر: "**تهذيب اللغة**" لمحمد بن أحمد الأزهري الهروي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ج٤، ص٧٠. وينظر: "**لسان العرب**" لمحمد بن مكرم بن منظور، مرجع سابق، (بيروت، دار صادر، ١٤١٤ه)، ج١٥، ص١٤٣.

القدوة:

"القاف والدال والحرف المعتل أصل صحيح يدل على اقتباسٍ بالشيء واهتداءٍ، ومقادرةٍ في الشيء حتى يأتي به مساويًا لغيره. من ذلك قولهم: هذا قِدَى رُمحٍ، أي قَيْسُهُ. وفلان قُدوة: يقتدى به، ويقال أن القدو: الأصل الذي يتشعب منه الفروع"(١).

والقَدْو: أصل الْبناء الَّذِي ينْشعِب مِنْهُ تصريف الِاقْتِدَاء(٢). يقال: قِدْوَةٌ وقُدْوةٌ لما يُقْتَدى به. والقُدْوَة والقِدْوَة ما تَسَنَّنْتَ به؛ والقِدَة: كالقِدْوة. يُقَالُ: لِي بِكَ قِدْوَةٌ وقُدْوَة وقِدَةٌ، وَقَدِ اقْتَدَى بِهِ. والقُدوة والقِدوة: الأُسْوة. يُقَالُ: فُلَانٌ قُدْوَة يُقْتَدَى بِهِ. ابْنُ الأَعرابي: القَدْوةُ التقَدُّمُ. يُقَالُ فُلَانٌ لَا يُقادِيه أَحد وَلَا يُماديه أَحد وَلَا يُباريه أَحد وَلَا يُجاريه أَحد، وَذَلِكَ إِذا بَرَّز فِي الخِلال كُلِّهَا(٣).

والقدوة من الناس هو المقدمة لغيره يقال "أتتنا قادية من الناس، وهم أول من يطرأ عليك"(٤)؛ وفي الصحاح توصف القدوة بالقِلة، يقال "أتتنا قادية من الناس، أي جماعة قليلة"(٥) .

---

(١) ينظر: "**مقاييس اللغة**" لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج٥، ص٦٦.

(٢) ينظر: "**تهذيب اللغة**" لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ج٩، ص١٩١.

(٣) ينظر: "**لسان العرب**" لمحمد بن مكرم بن علي ابن منظور، (بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ)، ج١٥، ص١٧١.

(٤) ينظر: "**مجمل اللغة**" لأحمد بن فارس، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص٧٤٦.

(٥) ينظر: "**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**"، لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٦، ٢٤٦٠.

والقدوة في القرآن الكريم تفيد اتباع الغير على الحالة التي يكون عليها خيرًا كانت أو شرًا، ويفهم هذا من أنها جاءت في القرآن الكريم مرتين: إحداهما في سياق المدح، وهي قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾(١)، والثانية: في سياق الذم وهي قول الله تعالى: ﴿وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾(٢). حيث مدح الله، تعالى ذكره، في الآية الأولى الأنبياء السابقين على ما كانوا عليه من الحق والهدى، وأمر نبيه محمد ﷺ باتباعهم باعتبارهم قدوة له في الحق، جاء في تفسير الآية الكريمة عند الطبري: "يقول، تعالى ذكره، : فبالعمل الذي عمِلوا، والمنهاجِ الذي سلَكوا، وبالهدى الذي هدَيْناهم، والتوفيق الذي وفَّقْناهم، ﴿اقْتَدِهْ﴾ يا محمدُ، أي: فاعْمَلْ وخُذْ به واسْلُكْه، فإنه عملٌ للهِ فيه رضًا، ومِنْهاجٌ مَن سلَكَه اهْتَدَى والتوفيق الذي وفقناهم"(٣).

وذم الكافرين الذين رفضوا اتباع الحق، وفضلوا الاتباع الأعمى لما كان عليه آباؤهم من غير دليل ولا برهان على صواب معتقداتهم. قال ابن عاشور في تفسير هذه الآية" أي ليس لهم علم فيما قالوه ولا نقل. فكان هذا الكلام مسوقا مساق الذم لهم إذ لم يقارنوا بين ما جاءهم به الرسول وبين ما تلقوه من آبائهم فإن شأن العاقل أن يميز ما يلقى إليه من الاختلاف ويعرضه على معيار الحق"(٤).

---

(١) سورة الأنعام: من الآية٩٠.

(٢) سورة الزخرف من الآية٢٣.

(٣) ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري"، (القاهرة، دار هجر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)،ج ٩، ٣٩١م.

(٤) ينظر: "**التحرير والتنوير– تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**" لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور، (تونس، الدار التونسية للنشر،١٣٩٣هـ، ١٩٨٤)، ج٢٥، ص١٨٧.

فالقدوة هو النموذج والمَثَل الذي يُحتذى به، والمقتدي هو الشخص الذي يتبع ويطلب موافقة فعله لفعل القدوة، فالقدوة تتجه من أعلى إلى أسفل، والاقتداء يتجه من أسفل إلى أعلى. أما الإسوة فهي حالة وهيئة التي يكون عليها الإنسان. وقد قيدت القدوة والإسوة بالحسنة، ومعيار الحسن هو الشرع، فما حسنه الشرع بنصوصه ومقاصده ومصالحه فهو الحسن، وما قبحه فهو القبيح، وبذلك تُحسم مسألة المعيارية في موضوع القدوة.

الأسوة:

وكما يفسرون القدوة بالأسوة يفسرون، أيضًا، "الأسوة" بالقدوة. "يقال لي في فلان إسوة، أي: قدوة، أي: إني أقتدي به"(١). "ويقال: ائتس به أي اقتد به وكن مثله"(٢). فكأن كل من اللفظين (القدوة، والأسوة) ينوب عن الآخر في الدلالة. ويدور المعنى اللغوي للأسوة على "المداواة والإصلاح"(٣). فتطلق "الأسوة" على مداواة الجروح وتطلق، كذلك، على الدعامة والسارية والأسطوانة التي تصلح السقف وتقيمه مستويًا؛ وتطلق على التسوية بين مختلفين من البشر، يقال: "فلان يأتسي بفلان أي يرضى لنفسه ما رضيه ويقتدي به وكان في مثل حاله. والقوم أسوة في هذا الأمر أي حالهم فيه واحدة"(٤).

و"المعنى المحوري ارتفاع الشيء القوي أو الحاد في الفجوة ليستوي أعلاه مع ما حوله. كالسارية تقام في فراغٍ وسط البيت وينصب عليها سقفه فيستوي سطحه، وكالدواء يأسو الجُرح: يساعد على نتوءِ اللحم فيه والتئامه. وأَسْو الشق مَلْؤه كذلك. ومن ذلك: الأُسوة – بالضم والكسر: القُدْوة، وهو من التسوية، كأن

---

(١) ينظر "**معجم مقاييس اللغة**" لأحمد بن فارس، مرجع سابق، ج١، ص١٠٥.
(٢) ينظر: "**لسان العرب**"، مرجع سابق، ج١٤، ص٣٥.
(٣) ينظر "**معجم مقاييس اللغة**" لأحمد بن فارس، مرجع سابق، ج١، ص١٠٥.
(٤) ينظر: "**لسان العرب**"، مرجع سابق، ج١٤، ص٣٥.

المُؤْتسِي يرتفع ليستوي مع المؤتسَى به" "والقوم أُسْوة في هذا الأمر، أي: حالهم فيه واحدة. وأَسَوْتُ فلانًا بفلان: جعلتُه أُسْوَته (كما تأسو الجرح فيستوي مع البدن الصحيح). "وآسِ بين الناس في وجهك ومجلسك: سَوِّ بينهم. وآساه بماله: أناله منه وجعله فيه أسوة (أي يساويه فيه)"(١).

فكما أن القدوة ترفع من شأن من يقتدي بها فالأسوة تداوي وتصلح غيرها. وقد ورد لفظ الأسوة ثلاث مرات في القرآن الكريم:

في سورة الأحزاب، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(٢). يأمر العليم الخبير، سبحانه وتعالى، عباده المؤمنين بالتأسي بالنبي ﷺ، في شؤونه كلها، فالمعنى:" ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾، أي: صار لكم ﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ إذا بعث رسولا ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: فيما أنزل إليه وأوحي إليه، وفيما شاهدتموه من حسن خلقه وكرمه؛ فالواجب عليكم أن تتاسوا به"(٣).

---

(١) ينظر: "**المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن**" لمحمد حسن حسن جبل، (القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٠م)، ج٢، ص٩٤٠. وقد اقتبست من كلامه ما يناسب المقام، وفي بقية كلامه تخريج لمعنى التأسي بالحزن على ذات الأصل، وذلك في قوله تعالى: " لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (الحديد: الآية٢٣)، وقوله تعالى: " قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" (المائدة: الآية٢٦)، وقوله تعالى:" وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" (المائدة: من الآية٦٨).

(٢) سورة الأحزاب: من الآية ٢١.

(٣) ينظر: "**تأويلات أهل السنة**"، للإمام محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م)، ج٨، ص٣٦٨. ينظر: "**الجامع لأحكام القرآن**" للإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ج١٤، ص١٥٥.

وفي سورة الممتحنة مرتين في سياق متصل، يقول الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ(٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) ﴾[1].

الملاحظ أن لفظ الأسوة ورد في سياق إيجابي، سياق المدح لا الذم، ومقرونا بصفة الحسن، التي هي ضد القبح، وكما رأينا من قبل فإن الشرع الحنيف هو معيار التحسين والتقبيح. وأن أغلب سياقات ورودها كانت دعوة للتأسي بنبي الله إبراهيم عليه السلام.

الاتباع:

يأتي الاتباع للدلالة على معنى القدوة، فتفسر القدوة بالاتباع ويفسر الاتباع بالاقتداء، يقول الإمام الطبري: "معنى الاقْتِداءِ في كلامِ العربِ، بالرجل، اتباعُ أَثَرِه، والأخذُ بهديهِ، يقالُ: فلانٌ يَقْدُو فلانًا. إذا نحا نحوَه، واتَّبَع أثرَه"[2]. والاتباع–باشتقاقاته المتعددة– كثير في كتاب الله، ويرد في سياقات وقضايا متعددة، فيأتي مأمورًا به، مثل: اتّباع الرّسل، واتّباع الوحي، والشّريعة، والهدى، وصالح المؤمنين؛ ويأتي منهيًّا عنه مثل: اتّباع الهوى والشّيطان والظّنّ والكفّار وما أشبه ذلك[3].

---

(١) سورة الممتحنة: الآيات: ٤–٦.

(٢) ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج٩، ص٣٩٢.

(٣) للوقوف على الآيات التي ورد فيها لفظ الاتباع مقسمة حسب الموضوع ينظر: "**نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم**"، صالح بن عبد الله بن حميد (مشرفًا)، (جدة، دار الوسيلة، ١٤٣١هـ)، ج٢، ص١٥–٢٢.

وبالتدبر في معنى الاتباع، الذي هو بمعنى الاقتداء، نجد أنه يتجه من الأسفل (المتَبِع، أو المقتَدي) إلى الأعلى (القدوة، أو المثل، أو الأسوة الحسنة)، بخلاف "القدوة" و "الإمام" و"المثل" فإنها تتجه من الأعلى (المقتدى به) إلى الأسفل (المقتدي)، ونستحضر آيتين من كتاب الله لبيان دلالة الاتباع على الاقتداء، أو لبيان المعنى الأوسع للقدوة في القرآن الكريم. قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١)، يقول الإمام الرازي في تفسير الآية الكريمة: "وبالجملة فكل واحد من فرق العقلاء يدعي أنه يحب الله، ويطلب رضاه وطاعته فقال لرسوله ﷺ: قل إن كنتم صادقين في ادعاء محبة الله تعالى فكونوا منقادين لأوامره محترزين عن مخالفته، وتقدير الكلام: أن من كان محبا لله تعالى لا بد وأن يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه، وإذا قامت الدلالة القاطعة على نبوة محمد ﷺوجبت متابعته، فإن لم تحصل هذه المتابعة دل ذلك على أن تلك المحبة ما حصلت"(٢)، وذكر الإمام ابن رجب الحنبلي أن "محبة الرسولِ على درجتينِ، إحداهُما: فرضٌ، وهي ما اقتضى طاعتَه في امتثالِ ما أمرَ به من الواجباتِ، والانتهاءِ عمَّا نهى عنه من المحرَّماتِ، وتصديقِهِ فيما أخبرَ به من المخبراتِ. والرضا بذلك، وأن لا يجدَ في نفسِهِ حرجًا مما جاءَ بهِ، ويسلِّمَ له تسليمًا. وأن لا يتلقَّى الهُدى من غيرِ مشكاتِهِ، ولا يطلبُ شيئا من الخيرِ إلا ما جاء. الدرجة الثانية: فضل مندوب إليه، وهي ما ارتقى بعدَ ذلكَ إلى اتَباع سنتِهِ وآدابِهِ وأخْلاقِهِ، والاقتداءِ به في هديه وسمتِهِ، وحسنِ معاشرتِهِ لأهلِهِ وإخوانِهِ، وفي التخلق بأخلاقِهِ الظاهرةِ في الزهد في الدنيا، والرغبةِ في الآخرةِ"(٣).

---

(١) سورة آل عمران: آية٣١.

(٢) ينظر: "**مفاتيح الغيب= التفسير الكبير**" للإمام محمد بن عمر الرازي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ج٨، ص١٩٧.

(٣) ينظر: "**الجامع لتفسير ابن رجب الحنبلي**" للإمام عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، (السعودية، دار العاصمة، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م)، ج١، ص٤٩٨.

وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] "ومعنى الاتباع الاقتداء فيما جاء به اعتقاداً وقولاً وفعلاً"[2]، "**والمراد هنا الاتباع الاصطلاحي؛ وهو أن يفعل مثل ما فعل المتبوع لأجل أنه فعله**"[3].

المثل:

ورد لفظ المثل في مواضع عدة من القرآن الكريم، وذلك في سياق الخير وفي سياق الشر. الخير بغرض الاقتداء والاتباع، والشر بغرض الاعتبار والتحذير فلا يقتدي بهم من يقع في مثل حالهم كي لا يصير مآله كمآلهم. كما في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ. وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[4]، وضرب المثل هنا "عبارة عن: إيراد حالة غريبة ليُعرف بها حالة أخرى، مشاكِلة لها في الغرابة، أي: ضرب الله مثلاً

---

(١) سورة الأعراف: آية١٥٧.

(٢) ينظر: "**تفسير البحر المحيط**" للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج٤، ص٤٠٢.

(٣) ينظر: "**تفسير ابن عرفة**" للإمام محمد بن محمد ابن عرفة، (بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٨م)، ج٢، ص٢٦٠.

(٤) سورة التحريم: الآيات ١٠-١٢.

لحال الذين كفروا حيث يُعاقَبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين، ولا ينفعهم ما كان بينهم وبين المؤمنين من النسب والمصاهرة بهاتين المرأتين"(١).

كما ورد المثل بحرف التشبيه وهو كثير في القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾(٢)، "الخطاب للنبي ﷺ أمره الله تعالى بالاقتداء بأولي العزم من الرسل في الصبر على أذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر"(٣).

الإمامة:

تأتي الإمامة، في كتاب الله، بمعنى القدوة(٤)، سواءً للأشخاص أم للأشياء (كالكتب المنزلة)، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي

(١) ينظر: "**البحر المديد**"، للإمام أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج٨، ص١٢٨. وعبارة الشوكاني قريبة جدًا مما جاء في "البحر المديد"، ينظر: "**فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير**"، للإمام محمد بن علي الشوكاني، (بيروت، دار الكلم الطيب،١٤١٤هـ) ج٥، ص٣٠٤.

(٢) سورة الأحقاف: آية٣٥.

(٣) ينظر: "**لباب التأويل في معاني التنزيل**"، للإمام علي بن محمد بن إبراهيم (المعروف بالخازن)، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ) ، ج٤، ص١٣٧.

(٤) وتأتي الإمامة بمعنى الطائفة والجماعة من الناس، ومنه قوله تعالى: "رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (سورة البقرة: آية١٢٨). وتأتي الإمامة بمعنى الحقبة من الزمن كقوله تعالى:"وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ"(يوسف: ٤٥)، وتأتي الإمامة بمعنى الطريق والملَّة، كقوله تعالى: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) (الزخرف: ٢٢). ينظر: " **دَرْجُ الدُّرر في تَفسِير الآيِ والسُّوَر**" للإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، (لندن، مجلة الحكمة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨)، ج١، ص٢٩٤.

الظَّالِمِينَ﴾[١]، يقول الإمام القرطبي في تفسير الآية الكريمة: القدوة، ومنه قيل لخيط البناء: إمام، وللطريق: إمام ؛ لأنه يؤم فيه للمسالك، أي يقصد. فالمعنى: جعلناك للناس إماما يأتمون بك في هذه الخصال، ويقتدي بك الصالحون. فجعله الله تعالى إماما لأهل طاعته"[٢]. ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣]، فالإمامة هنا بمعنى القدوة، أيضًا، قال ابن كثير: " الإمام الذي يقتدى به. والقانت: هو الخاشع المطيع. والحنيف: المنحرف قصدًا عن الشرك إلى التوحيد"[٤].

وفي حق إبراهيم وابنه إسحاق ونافلته يعقوب، عليهم السلام، يقول تعالى ذكره: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٥] أي "وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتم بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه، ويقتدى بهم ويتبعون عليه"[٦].

وقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٧]" أي قدوة يقتدى بنا في الخير، وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعي متقيًا قدوةً"[٨].

---

(١) سورة البقرة: آية ١٢٤.

(٢) ينظر: "**الجامع لأحكام القرآن**" للإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مرجع سابق، ج٢، ص١٠٧.

(٣) سورة النحل: آية ١٢٠.

(٤) ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج٤، ص٦١١.

(٥) سورة الأنبياء: الآية٧٣.

(٦) ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج١٦، ص٣١٧.

(١) سورة الفرقان: الآية٧٤.

(٨) ينظر: "**الجامع لأحكام القرآن**" للإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مرجع سابق، ج١٣، ص٨٣.

وقول الله تعالى ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(١)، وإمامًا في الآية الكريمة تعني قدوة(٢)، والمعنى: "نزّل الله تعالى إلى تلك الأمة إماما لهم، وقدوة يقتدون بها"(٣).

ونلاحظ في السياقات التي ورد فيها استعمال الإمامة بمعنى القدوة أنها تتجه من الأعلى للأدنى.

والمحصلة أن "القدوة" مفهوم يحمل كمًا من المعاني والدلالات الوصفية والفعلية، ولذا تم التعبير عنه بعدة معان بعضها يتجه لوصف حال الشخص النموذج (الذي يقتدى به) وبعضها يتجه لوصف الشخص المقتدي، وجميعها تشكل معنًا كليًا لا يتجزأ.

---

(١) سورة هود: آية١٧.

(٢) ينظر: "**مفاتيح الغيب= التفسير الكبير**" للإمام محمد بن عمر بن الحسن الرازي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ج٢٨، ص١٢.

(٣) ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج٤، ص٣١٢.

المبحث الثاني

أهمية القدوة كمنهج لتغيير الأخلاق

تنقسم القدوة إلى قدوة حسنة وقدوة سيئة. والقدوة الحسنة مطلقة ومقيدة.

تتمثل القدوة الحسنة المطلقة في الأنبياء والرسل، عليهم الصلاة والسلام؛ مثال ذلك: قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾[(١)]. قال ابن كثير: "قال تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا ﷺ ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني: الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه. ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي: هم أهل الهداية لا غيرهم. ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ أي: اقتد واتبع. وإذا كان هذا أمرًا للرسول صلى الله عليه وسلم، فأمته تبع له فيما يشرعه لهم ويأمرهم به"[(٢)]ونحن مأمورون بالاقتداء بالأنبياء، كما ذكر ابن كثير، ومنهم النبي، ﷺ[(٣)]. وفي هذا أمر صريح من الله، سبحانه وتعالى، للمؤمنين بمحمدٍ ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿ لقد كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[(٤)]. وجاء أمر خاص بالاقتداء، بإبراهيم عليه السلام، والذين معه، قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

(٢) ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج٣،ص٢٩٩.

(٣) ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج٣،ص٢٩٩.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾(١). والمعنى: " ائْتَسُوا بأمر إبراهيمَ كلِّه إلا في استغفاره لأبيه: فلا تأتسُوا به في ذلك؛ لأنه كان عن موعدة منه له"(٢).

وتتمثل القدوة الحسنة المقيّدة في العلماء الربانيين الذين يعلمون الكتاب ويعملون بما فيه أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(٣)، ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾(٤). وهنا لابد أن نذكر بأن التنوع في القدوة مطلوب وواقع لابد من الاعتراف به؛ وذلك أن طبائع الناس مختلفة، وبالتالي يختلفون (اختلاف تنوع) فيما يحبون ويكرهون، وكل له قدوة صالحة فيما يحب ويكره، فلا نحمل الناس على ما نحب ولا ندفعهم عما نكره ما لم يكن حرامًا بينًا.

ولا يخلو مجتمع من قدوة سيئة في الضلال والغي، وقد ذم الله من استمسك بالقدوة السيئة. يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾(٥) "﴿مُتْرَفُوهَا﴾ متنعموها وهم الذين أترفتهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبون إلا

(١) سورة الممتحنة: الآية ٤-٦.
(٢) ينظر: "**غريب القرآن**" للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص٤٦١.
(٣) سورة آل عمران: من الآية ٧٩.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٧٠.
(٥) سورة الزخرف: الآية٢٣.

الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ وهذا تسلية للنبي ﷺ وبيان أن تقليد الآباء داء قديم"(١)، "والأمة هي الملة"(٢).

وإن توجيه الناس أو التأثير عليهم هو الأبرز في الساحة المعرفية اليوم. ويأتون من طرقٍ شتى، فمنهم من يبحث عن تسويقٍ لسلعة (ملبس، أو مأكل، أو مشرب، أو مسكن،،،) ومنهم من يحاول النهوض بالإمكانات الذاتية للفرد (تنمية بشرية)، ومنهم من يحاول ضبط الأخلاق وتوجيهها يمنة أو يسرة. وجملةً نستطيع أن نقول أن كمًا غفيرًا ممن يتحدثون إلى الناس منشغلون بضبط السلوك (الأخلاق). وقد جاءت الشريعة متممة للأخلاق الحسنة، ففي الحديث: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا"(٣)، وفي الحديث: "رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ"(٤) وحين نتدبر في القدوة كأحد موضوعات القرآن الكريم نجد أنها، وما قاربها من

---

(١) ينظر: "**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**" للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، (بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج٣، ص٢٧٠.

(٢) ينظر: "**التحرير والتنوير- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**" لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور، مرجع سابق ج٢، ص١٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم (٣٥٤٩) (بيروت، درا ابن كثير/ اليمامة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ج٣، ص١٣٧٢.

(٤) المرجع السابق، ج٣ـ ص١٤٠١. والحديث بتمامه: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الأخ حتى قدمه، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاما ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني مما أردت، فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ".

مفاهيم، جاءت بصيغة الفعل ﴿اقتده﴾، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(١) أو اسم الفاعل ﴿مقتدون﴾، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾(٢)، وفي ذلك إشارة إلى العناية بالمنحى العملي.. الفعلي.. التطبيقي.. السلوكي.. الأخلاقي.

وبالتأمل في تأثير القدوة نجد أنها أحد أهم الوسائل التي يتم من خلالها ضبط الأخلاق (تقويم السلوك)، ومما يبين ذلك:

أن القُدْوَة (بمعنى الاقتداء بالغير أو إقامة نموذج عملي ليقتدي به آخرون) **أحد أهم الدوافع الفطرية** عند الإنسان، فالنّفْس البشرية مَجبولة بطبيعتها على التأسّي والتطبع بصفات وأخلاق مَن تحبه أو تثق فيه. هذا من ناحية الفرد المقتدي؛ ومن ناحية الفرد القدوة فإنه يسعى لإصلاح نفسه.. يسعى للتحلي بمكارم الأخلاق، ومن ثم يحاول التأثير في غيره (الدعوة إلى ما يؤمن به)، بمعنى أنه يقدّم نفسه نموذجًا لغيره. وهذا المعنى (إصلاح النفس قدوةً للغير، أو دعوة الآخرين بالأفعال والأقوال [القدوة الحسنة]) كثير في كتاب الله، من ذلك:

ما وصف اللهُ به عباده في قوله تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(٣). "من للبيان كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾، ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين". وقرّةُ العين إنما تكون "بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل، فإن المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله سُرَّ بهم قلبه

(١) سورة الأنعام: من الآية ٩٠.
(٢) سورة الزخرف: من الآية ٢٣.
(٣) سورة الفرقان: آية٧٤.

وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة"[١]؛ ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أَيْ: اجعلنا ممَّن يهتدي به المُتَّقون"[٢].

فهذا حال عباد الرحمن حرص على إصلاح النفس، وحرص على إصلاح غيرهم، فلن يكون إمامًا للمتقين إلا وهو في مقدمتهم بأفعاله وأقواله، ويبدأ بمن يعول.. بزوجه وذريته (المجال الخاص)، وإذا بدأ كل منا بتزكية نفسه ومساعدة أهل بيته ثم الذين يلونهم.. إذا فعلنا هذا تكونت للأخلاق الكريمة محاضن من بيوت وعوائل تحفظ أهلها وتنجب كرامًا يومًا بعد يوم. فإن للمكارم بيوت ولعل هذا ما يفهم مما قيل لمريم بنت عمران حين جاءت تحمل المسيح ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٣]، والمعنى: "﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ أي يا شبيهة هارون في الْعِبَادَةِ، ﴿مَا كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ أي: أنت من بيت طيب طاهر، معروف بالصلاح والعبادة والزهادة، فكيف صدر هذا منك"[٤].

ومن ذلك: قول الله تعالى : "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي"[٥]. وهذا مما زاد الكريمُ، سبحانه وتعالى،

---

(١) ينظر: "**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**"، للإمام عبد الله بن عمر البيضاوي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ)، ج٤، ص١٣١. وذكر كثير من أهل العلم في تفسير الآية الكريمة أن المراد بقرة العين دخول الذرية الجنة ينصب على جعل قرة العين بدخول الذرية الجنة، وهذا

(٢) ينظر: "**الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**" للإمام علي بن أحمد بن محمد الواحدي، (بيروت، دار القلم، ١٤١٥هـ)، ص٧٨٤.

(٣) سورة مريم: آية ٢٨.

(٤) ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج٥، ص٢٢٦، ص٢٢٧. سلامة

(٥) سورة البقرة: من الآية ١٢٤.

إبراهيمَ الخليل، عليه السلام، فقد أعطى الله، سبحانه وتعالى، إبراهيم، عليه السلام، سؤله ثم زاده بأن جعله إمامًا(١)، والمعنى: "إني مُصَيِّرُك تؤم من بعدك من أهل الإيمان بي وبرسلي، فتقدمهم أنت، ويتبعون هديك، ويستنون بسنتك التي تعمل بها، بأمري إياك ووحي إليك"(٢)، وقول إبراهيم "ومن ذريتي" "مسألة منه ربه لعقبه أن يكونوا على عهده ودينه، كما قال: "واجنبني وبني أن نعبد الأصنام(٣)". فهذا حرص أبي الأنبياء، عليه السلام، على ذريته من بعده، وقد أجيب دعاؤه بدليل "وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ"(٤)إلا أن الله بين له أنه سيكون من ذريته ظالمون، وأنه لا ينالهم عهد الله، ولا يكونون أئمة فلا يقتدى بهم(٥) .

ولهذا ذمّ الله الذين يعظون الناس بأقوالهم دون أفعالهم. يقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ"(٦)، والمعنى: "يأيها الذين صدقوا الله ورسوله، لم تقولون القول الذي لا تصدقونه بالعمل؟ فأعمالكم مخالفة، أقوالكم، " كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ "يقول: عظم مقتا عند ربكم قولكم ما لا تفعلون"(٧).

---

(١) ينظر: "**تفسير مقاتل بن سليمان**" للإمام مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي، (بيروت، درا إحياء التراث، ١٤٢٣هـ)، ج١، ص١٣٦

(٢) ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج٢، ص٥٠٩,٥١٠

(٣) سورة: إبراهيم من الآية ٥٦.

(٤) سورة العنكبوت: من الآية ٢٧.

(٥) ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج١، ٤١٠.

(٦) سورة الصف: الآيات ٢-٣.

(٧) ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج٢، ص٦٠٦.

ويقول الله تعالى: "أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"(١)، والمعنى أن "أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة، ويدعون العمل بما يأمرون به الناس، فعيرهم الله بذلك، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة"(٢).

ويقول الله تعالى: "وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ"(٣)، "أَيْ: في ضلالتهم معجبين بها، وقيل: حسبوا أنَّهم على الهدى وهم على الباطل"(٤)، "والمعنى: أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين. قال الفراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر"(٥).

وبهذا تكون القدوة أحد أهم الوسائل في الدعوة إلى الله، وذلك أن أبلغ الوسائل في التأثير في الآخرين هو الصدق، أو مطابقة الأقوال للأفعال. فليس فقط العلم، وإنما علم نافع وعمل بما يعلم. ومن أوضح الأمثلة على ذلك في كتاب الله قول شعيب، عليه السلام، لقومه ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾(٦)، "أي لست أنهاكم عن شيء وأدْخُلُ فيه، وإنما أختار لكم ما أختار لنفسي"(٧).

---

(١) سورة البقرة: آية٤٤.

(٢) ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**"، للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج١، ص٢٤٦.

(٣) سورة العنكبوت: من الآية ٣٨.

(٤) ينظر: "**الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**" للإمام علي بن أحمد الواحدي، (بيروت، دار القلم، ١٤١٥)، ص٨٣٣.

(٥) ينظر: "**معالم التنزيل في تفسير القرآن**" للإمام الحسين بن مسعود البغوي، (بيروت، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج٦، ص٢٤٢.

(٦) سورة هود: من الآية ٨٨.

(٧) ينظر: "**معاني القرآن وإعرابه للزجاج**"، للإمام إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج٣، ص٧٣.

ويجمل هنا أن نُذكّر بأن أخلاق المسلمين الأوائل كانت العامل الأكبر في دخول الناس في دين الله أفواجًا، فعامة ما فتح من بلاد لم يفتح بقتال وإنما بالتعاملات المادية من خلال التجارة والدعوة إلى الله، وعلى سبيل المثال الدول الأفريقية جنوب الصحراء(١) ودول جنوب شرق أسيا (أندونسيا وماليزيا والفلبين الآن)، بل إن الفاتحين لم يجبروا الناس على الإيمان، بل آمن الناس بعد أن خالطوا المسلمين وعرفوا دين الله أخلاقًا قبل أن يعرفوه تنظيرًا(٢).

ومما يبين أهمية القدوة في ضبط الأخلاق أنه من خلال القدوة العملية (النموذج العملي الذي يتحرك أمام الناس بأخلاق حميدة قولًا وفعلًا) يتبين للناس إمكانية التخلق بأخلاق القرآن الكريم، يتبين للناس أن الله لا يكلفهم فوق طاقتهم وأن ليس عليهم في الدين من حرج، وربما كان هذا السبب في أن يكون الرسل بشرًا لا ملائكةً. ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ. وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾(٣) والمعنى: "﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾. أي لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته إلا بعد التجسم بالأجسام الكثيفة، لأن كله جنس يأنس بجنسه وينفر من غير جنسه، فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكا لنفروا من مقاربته، ولما أنسوا به، ولداخلهم من الرعب من كلامه والاتقاء له ما يكفهم عن كلامه، ويمنعهم عن سؤاله، فلا تعم المصلحة ولو نقله عن صورة الملائكة إلى مثل

---

(١) ينظر: "**انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء**"، لعبد الله محمد سالم بازينة، (ليبيا، منشورات جامعة ٧ أكتوبر، ٢٠١٠).

(٢) ينظر: "**أطلس انتشار الإسلام**"، لشوقي أبو خليل، (دمشق، دار الفكر،١٤٣٢هـ/٢٠١١)، ص١٠-١١. وفيه رصد لعوامل انتشار الإسلام وإقبال الناس عليه، وكيف أنها لم تكن بسبب الغلبة بالسيف، ويتعقب الكتاب الأماكن التي انتشر فيها الإسلام بأسسه الأخلاقية وما قدمه الدعاة والتجار من قدوة صالحة.

(٣) سورة الأنعام: الآيات ٨، ٩.

صورتهم ليأنسوا به وليسكنوا إليه لقالوا: لست ملكا وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك وعادوا إلى مثل حالهم"(١).

ومن خلال القدوة الحسنة يتم الحفاظ على ما قد أنجز من أخلاق حسنة في الآباء والأجداد (الأسر) والمجتمع (النماذج الخيّرة التي تمشي بين الناس بمكارم الأخلاق)؛ بمعنى أن القدوة الحسنة تحافظ على التراكمية، ولا تجعلنا، ونحن نحاول إصلاح أنفسنا وأهلينا ومَن حولنا، نبدأ من العدم أو من القليل، بل نراكم فوق ما قد أنجزه السابقون الأولون. ولهذا أمرنا، ليس فقط بالاقتداء بمن سبق، بل بمعرفة فضلهم والدعاء لهم، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(٢) والمقصود بـــ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة(٣).

ويقول الله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٤)، والمعنى: "هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالترحم والدعاء، ويذكرون محاسنهم، ويسألون الله تعالى أن يجمع بينهم"(٥). فهذا ربطُ تراحمٍ بين القدوة والأتباع.. نسيج متآلف يكوِّن

---

(١) ينظر: "**الجامع لأحكام القرآن**" للإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مرجع سابق، ج٦، ص٣٩٤.

(٢) سورة الحشر: آية ١٠.

(٣) ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ، ج٢٢، ص٦٢٨.

(٤) سورة التوبة: آية١٠٠

(٥) ينظر: "**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**"، للإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ج٥، ص٨٣.

ويدعم ويضبط الأخلاق بين المؤمنين كأنهم بيت واحد، كما قال الله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١] "أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب"[٢]. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : "لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ"[٣]، "ومعنى كونوا عباد الله اخوانا أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الاخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال قال بعض العلماء وفي النهي عن التباغض اشارة إلى النهي عن الاهواء المضلة الموجبة للتباغض"[٤].

---

(١) سورة الحجرات: من الآية١٠.

(٢) ينظر: "**الجامع لأحكام القرآن**" للإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مرجع سابق، ج١٦، ص٣٢٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، حديث رقم (٢٥٦٣)، (بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٤٣هـ)، ج٨، ص١٠، ١١. والتناجش الخداع، والتدابر المعاداة وقيل المقاطعة لأن كل واحد يؤتي صاحبه دبره.ينظر: "**شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية**"، للإمام محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، (بيروت، مؤسسة الريان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص١١٧.

(٤) ينظر: "**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** " للإمام أبي زكريا يحي بن شرف بن مري النووي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)، ج١٦، ص١١٦.

المبحث الثالث

إظهار القدوات الحسنة والسيئة في القرآن الكريم

إذا كان الاقتداء هو "الإتيان بمثل فعل الأول لأجل أنه فعله"(١)، بمعنى أن المقتدِي يفعل ما يفعله المقتَدَى به ثقةً بأنه على خير ولا يأت إلا صوابًا؛ وإذا كان الاقتداء فطرة فطر اللهُ الناسَ عليها؛ وإذا كان الاقتداء ضرورة لحفظ مكارم الأخلاق ودعوةِ الناس إليها، كما تبين في المبحثين السابقين فإن إظهار القدوات للناس ضرورة لابد منها كأحد أهم الوسائل في ضبط الأخلاق.

وفي كتاب الله إظهار للقدوات الحسنة كالرسل والأنبياء وفي مقدمتهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ والصحابة والتابعين لهم بإحسان، ثم العلماء والصالحين ليقتدي بهم من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلًا. وفي القرآن الكريم، كذلك، إظهار للقدوات السيئة وكيف أن من اقتدى بهم واتبع سبيلهم أخزاه الله في الدنيا والآخرة. وإليك تفصيل:

في القرآن الكريم ذكر لأحوال الأنبياء (مجملًا ومفصلًا) مع قومهم، وأحوالِهم في عبادة ربهم، وأمر للعليم الخبير، سبحانه وتعالى، لرسوله، صلى الله عليه وسلم، أن يقتدي بهم، يقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(٢)؛ وقال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾(٣)، "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مثبته على المضي لما قلده من عبء الرسالة وثقل أحمال النبوة ﷺ، وآمره بالائتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولى العزم من قبله من

---

(١) ينظر: "**اللباب في علوم الكتاب**" للإمام عمر بن علي النعماني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج٨، ص٢٧٢.

(٢) سورة الأنعام: من الآية ٩٠. وقد سبق بيان معنى الآية من أقوال علماء التفسير.

(٣) سورة الأحقاف: من الآية ٣٥.

رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد"[١]. ومما يتوافق مع هذا المعنى ويدعمه قول الله تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا** نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]. والمعنى: "كلاً نقص عليك يا محمد من أنباء الرسل يعني من أخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فؤادك يعني ما نقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لأن النبي، ﷺ، إذا سمع هذه القصص وعلم أن حال جميع الأنبياء مع أتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه"[٣].

وقد أمرنا بأن نتخذ النبي، ﷺ، قدوةً لنا، نتأسى به ونتبعه في هديه ونطيع أمره ونهيه، قال الله تعالى[٤]: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٥]، وقال الله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٦]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[٧]، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٨]، وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ

---

(١) ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج٢١، ص١٧٦.

(٢) سورة هود: آية ١٢١.

(٣) ينظر: "**لباب التأويل في معاني التنزيل**"، للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (الخازن)، مرجع سابق، ج٣، ص٢٥٩.

(٤) راعيت في ترتيب الآيات دلالتها على الاقتداء بالنبي، صلى الله عليه وسلم، فقدمت ما فيها أمرًا مباشرًا.

(٥) الحشر: من الآية ٧.

(٦) سورة الآعراف: من الآية ١٥٨.

(٧) سورة النور: من الآية ٥٤.

(٨) سورة الشورى: من الآية ٥٢.

كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[١]، وفي الحديث: "لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ"[٢]، "وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي"[٣]؛ ولذا نصّ أهل الأصول على أن "أفعال النبي عليه السلام حجة"، فكل "ما أتى به الرسول عليه السلام وجب أن نأتي بمثله، إلا إذا دل دليل منفصل على خلافه"[٤]. فلا يجوز لمسلم أن يخالف أمر النبي ﷺ، إن كان قادرًا على الامتثال له[٥]، يقول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٦]."فإذا حملنا لفظ الأمر على الشأن المطلق والطريق دخل فيه جميع أفعاله وأقواله، ويجب حمله على هذا المعنى"[٧]، و"الفتنة هاهنا الكفر"،

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٢) ينظر: "**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**"، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، كتاب "الحج"، باب "باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا. وبيان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم "لتأخذوا مناسككم"، (بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)، ج٢، ص٩٤٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب الأدب، باب "رحمة الناس والبهائم"، حديث رقم (٥٦٦٢)، وورد مكررًا في كتب وأبوابٍ أخرى، (بيروت، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ/١٩٩٣)، ج٥، ص٢٢٣٨.

(٤) ينظر: "**شرح المعالم في أصول الفقه**"، بعبد الله بن محمد الفهري (ابن التلمساني)، (بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ج٢، ص١٨.، وقد عدّ ثلاثة عشر دليلًا على وجوب الاقتداء بالنبي، صلى الله عليه وسلم، في شأنه كله.

(٥) ويتوافق مع ما جاء في الآية الكريم قولُ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، "ما نَهَيْتُكُمْ عنْه فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به فَافْعَلُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ" أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب "توقيره، صلى الله عليه وسلم، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع، ونحو ذلك"، حديث رقم (١٣٣٧)، مرجع سابق، ج٤، ص١٨٣٠.

(٦) سورة النور: من الآية٦٣.

(٧) ينظر: "**شرح المعالم في أصول الفقه**"، بعبد الله بن محمد الفهري (ابن التلمساني)، مرجع سابق، ج٢، ص٢١.

"أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع، على صنيعهم"(١). والنبي، ﷺ، هو أفضل قدوة.. هو النموذج البشري الكامل، صلى الله عليه وسلم. وذلك لما اتصف به من صفات الكمال البشري، وفي محكم التنزيل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٢) و"معناه على دين عظيم لا دين أحب إليّ ولا أرضى عندي منه وهو دين الإسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت كان خلقه القرآن(٣) وقال قتادة هو ما كان يأتمر من أوامر الله وينتهي عنه من مناهي الله تعالى والمعنى وإنك لعلى الخلق الذي أمرك الله به في القرآن وقيل سمى الله خلقه عظيمًا لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٤)"(٥).

والاقتداء بالنبي ﷺ، لا يكون في جانب دون جانب، بل في كل جوانب حياته ﷺ،(٦) وذلك لكماله من ناحية وأن فعله وتركه بوحي من الله، وفي كتاب الله أنه ﷺ، ما كان يفعل شيئًا من تلقاء نفسه، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ

---

(١) ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج١٧، ص٣٩١.

(٢) سورة ن: آية

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، حديث رقم(٢٥٨١٣)، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج٤٣، ص١٥.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٩٩.

(٥) ينظر: "**لباب التأويل في معاني التنزيل**"، للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (الخازن)، مرجع سابق، ج٧، ص١٣٠.

(٦) في المسألة تفصيل، وخاصة فيما يتعلق بالصفات الجبلية ذات الأبعاد الشخصية، ينظر: "شرح المعالم في أصول الفقه"، بعبد الله بن محمد الفهري (ابن التلمساني)، مرجع سابق، ج٢، ص١٨-٢١.

عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾[١] ، ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢] ، ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [٣]، وهذا شأن النبي ﷺ، في أمره كله، يقول الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٤]. وفي السنة النبوية ما يؤيد هذا الفهم، كما في قول الرسول ﷺ، لأبي بكر يوم الهجرة: "إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة"[٥].

ومن القدوات التي أظهرها الله لنا في كتابه لنقتدي بهم **صحابة رسوله** ﷺ، ورضي الله عنهم، فقد أثنى الله عليهم وأمرنا باتباعهم، وجعل الهداية في أن نكون على مثل ما كانوا عليه، وهذه بعض الآيات التي تظهر الصحابة كقدوة عملية، استطاعت أن تتمثل الأخلاق الإسلامية قولًا وفعلًا. يقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾[٦]، والمشار إليه غير الصحابة من اليهود (وهم سياق الآيات في سورة البقرة) أو غيرهم عمومًا من الذين يأتون من بعدهم، والمعنى:" يقول تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ أي: الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ أيها المؤمنون، من الإيمان بجميع كتب الله ورسله، ولم

---

(١) سورة الأنعام: من الآية٥٠.

(٢) سورة الأعراف: آية ٢٠٣

(٣) سورة الأحقاف: آية٩.

(٤) سورة النجم: آية ٤.

(٥) "**السيرة النبوية: من البداية والنهاية**" لإسماعيل بن كثير، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م)، ج٢، ص٢٣٣.

(٦) سورة البقرة: من الآية ١٣٧.

يفرقوا بين أحد منهم ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ أي: فقد أصابوا الحق، وأرشدوا إليه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: عن الحق إلى الباطل، بعد قيام الحجة عليهم ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: فسينصرك عليهم ويُظْفِرُك بهم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾"(١).

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(٢)، والمقصود بالمؤمنين هنا هم الصحابة رضوان الله عليهم "وقد رضى رسول الله ﷺ لأمته باتباع أصحابه"(٣)؛ والأحاديث الواردة في فضل الصحابة كثيرة(٤).

ويقول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٥)، والمقصود بـــ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾: "من أحسن من بعدهم إلى يوم القيامة"(٦).

ومن القدوات التي أظهرها الله لنا في كتابه لنقتدي بهم **أهل العلم**.. أولئك الذين علموا وعملوا بما علموا، والآيات التي ذكر فيه أهل العلم وضعتهم في صورة بهية عالية، فقد قرنوا في شهادة التوحيد مع الكبير المتعال، سبحانه وعز

---

(١) ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج١، ص٤٥٠.

(٢) سورة النساء: الآية ١١٥.

(٣) ينظر: "**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**" للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مرجع سابق، ج٢، ص٢٢٩.

(٤) ينظر: "**الأحاديث الواردة في فضل الصحابة**"، لسعود بن عيد بن عمير الصاعدي، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٤٢٧هـ).

(٥) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

(٦) ينظر: "**معاني القرآن الكريم**" للإمام يحيى بن زياد الديلمي الفراء، (مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت)، ص٤٥٠.

وجل، وملائكته، وبين الله، سبحانه وتعالى، أن أهل العلم هم أهل الخشية والتقوى، وأنهم مرفوعون على غيرهم درجات، وأنهم ولاة الأمر.

يقول الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1] وشهادة أولوا العلم تكون "بالإقرار، وهذه مرتبة جليلة للعلماء، لقرنهم في التوحيد بالملائكة المشرفين، بعطفهم على اسم الله عزّ وجلّ"[2].

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[3].

والمعنى: "من كان عالماً باللَّهِ اشتدت خشيته له"[4]، " قال ابن مسعود: المتقون سادة، والعلماء قادة"[5].

ويقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[6]، وفي تفسير العلماء للآية قال بعضهم: أن الرفع درجات يكون لمن وصف بالإيمان والعلم، فيكون المعنى " يَرْفَعِ اللَّهُ المؤمنين العلماء منكم دَرَجاتٍ"[7]؛ وقال آخرون: " وقال آخرون المعنى: يَرْفَعِ اللَّهُ

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ١٨.

(٢) ينظر: "**محاسن التأويل**" للإمام محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ج٢، ص٢٩٥.

(٣) سورة فاطر: من الآية ٢٨.

(٤) ينظر: "**معاني القرآن وإعرابه**" للإمام إبراهيم بن السري الزجاج، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج٤، ص٢٦٩.

(٥) ينظر: "**النكت والعيون**" للإمام علي بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ج٤، ص٤٧١.

(٦) سورة المجادلة من الآية:١١.

(٧) ينظر: "**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**" للإمام عبد الحق بن غالب بن عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ج٥، ص٢٧٩

المؤمنين والعلماء الصنفين جميعا دَرَجاتٍ لكنا نعلم تفاضلهم في الدرجات من مواضع أخرى"، " وقال عبد الله بن مسعود وغيره: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وتم القول، ثم ابتدأ بتخصيص العلماء بالدرجات ونصبهم بإضمار فعل، فالمؤمنون رفع على هذا التأويل وللعلماء درجات، وعلى هذا التأويل قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: فضل العلم أحب إلى من فضل العبادة وخير دينكم الورع"(١). وكلا القولين يدل على المعنى الذي نحن بصدده، وهو تقديم قدوات صالحة مصلحة للناس قريبة منهم يتعاملون معهم ويرونهم في ذهابهم ومجيئهم ليقتدوا بأخلاقهم الحسنة ويحاولون أن يكونوا، هم أو ذريتهم من بعدهم، منهم. يقول الإمام الرازي: " والله فضل أهل بدر على غيرهم من المؤمنين بدرجات وفضل المجاهدين على القاعدين بدرجات وفضل الصالحين على هؤلاء بدرجات ثم فضل العلماء على جميع الأصناف بدرجات فوجب أن يكون العلماء أفضل الناس"(٢).

ويقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾(٣). وهنا تقديم لأهل العلم في سياق حضر فيه العوام والأفاكون من الملأ يسخرون من ضرب الأمثلة بالذباب والعنكبوب فبيّن الله أن الأمثال "لا يعقل صحتها وحسنها ولا يفهم فائدتها إلا هم لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المستترة حتى تبرزها وتصورها للأفهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية فقال العالم من

---

(١) ينظر: "**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**" للإمام عبد الحق بن غالب بن عطية، المرجع السابق، ج٥، ص٢٧٩.

(٢) ينظر: "**مفاتيح الغيب= التفسير الكبير**" للإمام محمد بن عمر بن الحسن الرازي، مرجع سابق، ج٢، ص١٦٥.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ودلت الآية على فضل العلم على العقل" [١].

ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٢] والمقصود ﴿ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ هم العلماء[٣] وإظهار مكانة العلماء وشرفهم من شأنه أن يدفع الخواص لأن يكونوا منهم والعوام لأن يقتدوا بهم.

وفي القرآن الكريم **إظهار لنوعٍ آخر من القدوات،** غير أولي العزم من الرسل، وعامة الرسل، عليهم الصلاة والسلام، ورسولنا ﷺ، وغير العلماء الربانيين، نوعية من جنس العوام، الذين لا يتنزل عليهم وحي ولم يعكفوا في محارب العلم تعلمًا وتعليمًا، **وهم أهل الإيمان والمروءة**[٤]، أولئك الذين ينصرون الحق حين يرون أهل مغلوبين، مثال ذلك: مؤمن آل فرعون المذكور خبره مفصلًا في سورة غافر وسورة القصص، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٥] إلى قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾[٦] والمذكور حاله مع موسى، عليه السلام، حين نصحه

---

(١) ينظر: "**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**" للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مرجع سابق، ج٢، ص٦٧٨.

(٢) سورة النساء: من الآية٥٩.

(٣) ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٣٤٥.

(٤) والعطف هنا عطف للجزء على الكل، وذلك أن الإيمان الكامل يقتضي المروءة كاملة. فالدين القويم يؤدي إلى خلق قويم.

(٥) سورة غافر: من الآية ٢٨.

(٦) سورة غافر: الآية٤٥.

بالخروج قبل أن يقتله الملأ، يقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾(١).

ومثال ذلك، أيضًا، الرجل الذي سمع بالمرسلين في قريته يدعون الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له فكذبهم قومه وهموا بقتلهم، فجاء مسرعًا من أقصى المدينة، شخص من عوام الناس. يذكر أهل العلم أنه كان سقيمًا (أسرع فيه الجذام)، يعمل في مهنة متواضعة (إسكافًا)(٢) ويسكن أطراف المدينة (للعبادة في غار أو لضعف قدرته على السكنى وسط المدينة)، يتصدق بنصف كسبه، حيث "يجمع كسبه فإذا أمسى قسمه نصفين نصف لعياله ويتصدق بنصفه"(٣)، نزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة ليكون قدوة للضعفاء في الدعوة إلى الله، يقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ. وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ. إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ. قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة القصص: الآية ٢٠، ذكر الإمام الطبري، وغيره، ان المقصود في الآية هو مؤمن آل فرعون، ينظر: ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج١٨، ص١٩٩.

(٢) ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج٦، ص٥٧٠.

(٣) ينظر: "لباب التأويل في معاني التنزيل"، للإمام علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (الشهير بالخازن)، مرجع سابق، ج٦، ص٦

(٤) سورة يس: الآية ٢٠-٢٧.

ويلحق بأهل الإيمان والمروءة الصحبة الصالحة، فهم قدوة، بمعنى أنهم يؤثرون في بعضهم، بقصد أو بدون قصد، فالأخلاق تعدي أو الطباع تنتقل بفعل المخالطة المستمرة، ولذا حثنا الله على أن نلازم أهل الصلاح، قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[1] والمقصود هنا بـــ ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ أي المحافظون على الصلوات في جماعة من ضعاف المؤمنين كبلال بن رباح وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم أجمعين[2].

وذلك أن الرجل «الرجل لا يصاحب إلا مثله أو شكله، فإذا لم يجد المرء بدا من صحبة الناس تحرى صحبة من زانه إذا صحبه ولم يشنه إذا عرف به، وإن رأى منه حسنة عدها، وإن رأى منه سيئة سترها، وإن سكت عنه ابتدأه، وإن سأله أعطاه"[3].

وفي القرآن الكريم **إظهار للقدوات السيئة**، وفي مقدمتهم الشيطان الرجيم، والملأ الذين استكبروا، والضعفاء الذين اتبعوا المستكبرين في الأرض بغير الحق، وصاحب السوء.

فقد بيّن الله لنا عداوة الشيطان للإنسان.. كل الإنسان في أكثر من آية، يقول الله تعالى:﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[4]، ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ

---

(١) سورة الكهف: الآية ٢٨.

(٢) ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج٩، ص٢٦٥.

(٣) ينظر: "**روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**" لمحمد بن حبان البستي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص١١٠.

(٤) سورة يوسف: من الآية٥.

لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[١] "أي: هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به"[٢].

وبين لنا كيف أن الشيطان يزين الباطل لأوليائه، يقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣]، و يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾[٤]، "يقول: وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي يكرهها الله ويسخطها منهم"[٥].

وبين لنا مكائد الشيطان بالصالحين، ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٦] "فأتبعه الشيطان أي أدركه. يقال: أتبعت القوم. أي لحقتهم. قال أبو عبيدة: ويقال: أتبعت القوم، مثال: أفعلت إذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم"[٧] ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[٨] "وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان، نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه، ولكنه زل بها فأطال من أجلها في السجن حبسه، وأوجع لها عقوبته"[٩].

---

(١) سورة فاطر: الآية٦.
(٢) ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج٦، ص٥٣٤.
(٣) سورة الأنعام: من الآية ٤٣.
(٤) سورة الأنفال: من الآية ٤٨.
(٥) ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج٩، ص٢٤٤.
(٦) سورة الأعراف: من الآية ١٧٥.
(٧) ينظر: "**مفاتيح الغيب= التفسير الكبير**" للإمام محمد بن عمر الرازي، مرجع سابق، ج١٥، ص٤٠٤.
(٨) سورة يوسف: من الآية ٤٢.
(٩) ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج١٣، ص١٧٢.

و"إن الله أخبر أن الذين ظلموا أنفسهم من أهل الكفر الذين ماتوا وهم كفار، يتبرأ عند معاينتهم عذاب الله المتبوع من التابع، وتتقطع بهم الأسباب، وقد أخبر الله جل ثناؤه في كتابه أن بعضهم يلعن بعضا، وأخبر عن الشيطان أنه يقول لأوليائه"(١) ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢).

ومن القدوات السيئة الملأ (الكبراء والرؤساء) والضعفاء الذين اتبعوهم لشهوة في قلوبهم أو لضعف في شخصيتهم عن الأيمان بالله والتحلي بمكارم الأخلاق، وهذا كثير في كتاب الله، مثل قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ. يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾(٣)، "﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: مسلكه ومنهجه وطريقته في الغي والضلال ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: ليس فيه رشد ولا هدى، وإنما هو جهل وضلال، وكفر وعناد، وكما أنهم اتبعوه في الدنيا، وكان مُقَدمهم ورئيسهم، كذلك هو يُقدمهم يوم القيامة إلى نار جهنم، فأوردهم إياها، وشربوا من حياض رَدَاها، وله في ذلك الحظ الأوفر، من العذاب الأكبر"(٤).

---

(١) ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج٣، ص٢٩.

(٢) سورة إبراهيم: الآية٢٢.

(٣) سورة هود: ٩٧، ٩٨.

(٤) ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج٤، ص٣٤٨.

ومثل قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [١] "والمراد رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم ﴿وَكُبَرَاءَنَا﴾ ذوي الأسنان منا أو علماءنا"[٢].

ومثل قول الله تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٣]، ومثله قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧)﴾ .

والمعنى: "أنهم كانوا أتباعهم في الدنيا، يأتمرون لما يأمرونهم به؛ من عبادة الأوثان، والكفر بالله، وينتهون عما نهوهم عنه؛ من اتباع رسل الله"[٤].

ويلحق بهذا الاقتداء بالأباء، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)﴾[٥] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣)﴾[٦] وقد مرَّ بيانه.

وكذلك الاقتداء بالأصحاب حبًا لهم، أو من باب مشاكلة الصاحب لصاحبه بقصدٍ أو بدون قصد، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ

---

(١) سورة الأحزاب: الآية٦٧.

(٢) ينظر: "**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**" للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي،مرجع سابق، ج٣، ص٤٧.

(٣) سورة إبراهيم: آية٢١.

(٤) ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري"،مرجع سابق، ج١٣، ص٦٢٦.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٠.

(٦) سورة الزخرف: من الآية٢٣.

الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾[١] ، نزلت في عقبة بن معيط لأنه ارتد بعد إسلامه، طلبا منه لرضا خليله أُبي بن خلف. فالظالم هو "عقبة بن معيط" وفلان هو "أبي بن خلف"[٢]. وقالوا: فلان هو أبي ويقول الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٣] يبين، سبحانه وتعالى، أن "كل خلة في عداوة إلا خلة المتقين"[٤].

(١) سورة الفرقان: الآيات٢٧-٢٩.

(٢) ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج١٧، ص٤٤٠.

((٣)) سورة الزخرف: الآية ٦٧.

((٤))ينظر: "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" للإمام محمد بن جرير الطبري"،مرجع سابق، ج٢٠، ص٦٤٠.

الخاتمـــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن أحبه واتبع هداه، وبعد:-

حاولت من خلال هذه البحث بيان عناية القرآن الكريم بالقدوة كأحد وسائل الدعوة القولية والعملية لمكارم الأخلاق؛ وذلك من حيث تثنية الحديث عن القدوة، وتصريفه، وإظهار القدوات الحسنة والقدوات السيئة كنماذج عملية شاخصة أمام الناس ليقتدوا بالحسن ويتجنبوا القبيح؛ وخلصت إلى عدد من النتائج من أهمها:

١) يحمل مفهوم "القدوة" كمًا من المعاني والدلالات الوصفية والفعلية، وقد تم التعبير عنه بعدة معان بعضها يتجه لوصف حال الشخص النموذج (الذي يقتدى به) كالقدوة والأسوة والإمامة وبعضها يتجه لوصف الشخص المقتدِي، كالاتباع، وجميعها تشكل معنًا كليًا يدور حول الإتيان بمثل فعل الأول لأجل أنه فعله.

٢) القدوة أحد أهم مناهج القرآن الكريم في بناء مكارم الأخلاق في الفرد والمجتمع، وظهر ذلك في جعله أحد موضوعاته، وتثنية ذكره، وتصريف المعنى ليتضح من كل الزوايا لمن شاء أن يستقيم.

٣) عناية القرآن الكريم بالبعد الشخصي والأسري، أو الانطلاق من إصلاح الفرد نفسه ثم المقربين إليه (زوجه وذريته) ثم عامة الناس بعد ذلك. وهذا من شأنه أن يؤدي إلى بناء شخصية قوية سوية قادرة على مواجهة التحديات والتمييز بين الحق والباطل.

٤) في القرآن الكريم عناية بإظهار القدوات الحسنة كنماذج خلقية للناس ليهتدوا بها في ظلمات الحياة، مثل الأنبياء والمرسلين، والعلماء العاملين، وأهل

المروءات؛ وكذلك عناية بإظهار القدوات السيئة وفي مقدمتها الشيطان الرجيم بعداوته للإنسان، وخاصة أتباع الرسل من المؤمنين الداعين لمكارم الأخلاق.

وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

المراجـــــع

الكتب:

١- إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

٢- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دَرْجُ الدُّرر في تَفسِير الآيِ والسُّوَر، (لندن، مجلة الحكمة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨).

٣- أبو زكريا يحي بن شرف بن مري النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).

٤- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

٥- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، مقاييس اللغة، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

٦- أحمد بن فارس، مجمل اللغة، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

٧- أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

٨- أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي، البحر المديد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٩- إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

١٠- إسماعيل بن عمر بن كثير، السيرة النبوية من البداية والنهاية، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م).

١١- إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

١٢- الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (بيروت، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

١٣- سعود بن عيد بن عمير الصاعدي، الأحاديث الواردة في فضل الصحابة، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٤٢٧هـ).

١٤- شوقي أبو خليل، أطلس انتشار الإسلام، (دمشق، دار الفكر، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١).

١٥- صالح بن عبد الله بن حميد (مشرفاً)، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، (جدة، دار الوسيلة، ١٤٣١هـ).

١٦- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الجامع لتفسير ابن رجب الحنبلي، (السعودية، دار العاصمة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

١٧- عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

١٨- عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).

١٩- عبد الله بن محمد الفهري (ابن التلمساني)، شرح المعالم في أصول الفقه، (بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

٢٠- عبد الله محمد سالم بازينة، انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، (ليبيا، منشورات جامعة ٧ أكتوبر، ٢٠١٠).

٢١- عبد الله بن مسلم بن قتيبة، غريب القرآن، (بيروت، دار الكتب العملية ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م).

٢٢- علي بن أحمد بن محمد الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (بيروت، دار القلم، ١٤١٥هـ).

٢٣- علي بن محمد بن إبراهيم (المعروف بالخازن)، لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

٢٤- عمر بن علي النعماني، اللباب في علوم الكتاب، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

٢٥- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

٢٦- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

٢٧- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المختصر، (بيروت، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ/١٩٩٣).

٢٨- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (القاهرة، دار هجر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

٢٩- محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، محاسن التأويل، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

٣٠- محمد بن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

٣١- محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، (القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٠م).

٣٢- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير، (بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ).

٣٣- محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

٣٤- محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، (بيروت، مؤسسة الريان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٣٥- محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، التحرير والتنوير- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٣٩٣هـ، ١٩٨٤).

٣٦- محمد بن محمد ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).

٣٧- محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تأويلات أهل السنة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م).

٣٨- محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ).

٣٩- محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٤٠- مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، (بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٤٣هـ).

٤١- مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، (بيروت، درا إحياء التراث، ١٤٢٣ه).

٤٢- يحيى بن زياد الديلمي الفراء، معاني القرآن الكريم، (مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت).

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــــــــــوع
١	المقدمة
٢	خطة البحث
٣	التمهيد
٤	المبحث الأول: ماهية القدوة
٥	المبحث الثاني: أهمية القدوة كمنهج لتغيير الأخلاق
٦	المبحث الثالث: إظهار القدوات الحسنة والسيئة في القرآن الكريم
٧	الخاتمة
٨	المراجع
٩	فهرس الموضوعات